الخطب المنبرية

الثبات بالقول الثابت

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْد لله، نَحمده حَمْدًا حَمْدًا، أَوْجَدَنا من العَدَم، وغَذَّانا بأنواع النِّعم، وأَكْرَمنا غاية الكَرم؛ فلِلَّه الحَمْدُ في الأُولى والآخِرة.

وأشهد أَلَّا إله إِلَّا وحده لا شريك له شهادةَ التَّوحيد، إقرارًا بعبادته وَحده وإبطالًا لِكُلِّ نوعٍ من الشِّرْك والتَّنديد، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عَبده ورسوله المخصوص من رَبِّه بأعظم المَزيد؛ صَلَّى الله عليه وسلَّم ما صَلَّى وسَلَّم عليه المُصَلُّون المُسَلِّمون، وعلى آله وصَحْبه ومَنْ جاء مِن بعدِهم وهُم له مُتَّبِعُون.

أَمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون!

النَّجَا النَّجَا، والفلاحَ الفلاحَ، اتَّقُوا الله تَغْنَموا وتُفْلِحوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَيُّها المؤمنون!

إِنَّ أنواعَ نِعَم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على خَلْقِه كثيرةٌ. **ومِن آلائه العظيمةِ، ونَعمائه الجليلةِ:** أَنْ يُثَبِّتَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عِبادَه المؤمنين؛ يُثَبِّتهم في الحياة الدُّنيا، ويُثَبِّتهم في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم:٢٧].

فإِنَّ الشُّبُهاتِ الجارفةَ، والشَّهَواتِ العارمةَ، تَرِدُ على القلوبِ فَتَجْتَالُها، فتُخْرِجُها من عُبُودِيَّة الله إلى عُبُودِيَّة النَّفس والهَوى والشَّيطان؛ فلا سبيلَ إلى نَجاتِها إِلَّا بتثبيت الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تثبيتًا على الدِّين الَّذي بُعِثَ به النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو المُراد بقوله تعالى: ﴿بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧] أي الحَقِّ اللَّازم الَّذي لا يَتَغَيَّر.

فهو ليس تَثْبيتًا على مِيراث الآباء والأجداد، ولا تَثْبِيتًا على ما ائْتَلف عليه

النَّاسُ في زمانٍ أو مكانٍ، ولا تَثبيتًا على ما تقتضِـيه الأحوال والأهْواء، ولا ما تستدعيه الآراء والأهواء؛ كَلَّا.

وَإِنَّما هو تَثبيتٌ على الدِّين الَّذي نَزَل من الله، وبُعِثَ به محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا فَخْرَ لأحدٍ بِثَباته، إلَّا أَنْ يكون ثابتًا على الدِّين الَّذي اصطفاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخَلْقه.

فَالبَقَاء على طريقة الآباء والأجداد أو غيرها، ليس شَرَفًا للعبد، ما لم تكن تلك الطَّريقة مُستنِدَةً إلى الهَدْي الَّذي كان عليه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُستمَدَّةً مِن أنوار الوَحْي، يَصْدُق فيها قَوْل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

ويَتَأَكَّد هذا الثَّبات عند اجتيالِ الفِتَن للنَّاس؛ فإِنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ذَكَر فتنة المسيحَ الدَّجَّال قال مُوصِيًا: «**يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**» [1]، وهذا الأمر بالثَّبات يَتكَرَّر النِّداءُ به مَع كُلِّ فتنةٍ يدعو إليها دَجَّالٌ، وما أكثر الدَّجاجِلةَ الصِّغار! الَّذين يَدْعُون إلى فِتَنٍ عظيمةٍ؛ إِمَّا في الشُّبهات، وإِمَّا في الشَّهوات.

وكم شيءٍ مُتَقَرِّرٍ في النُّفوس صار النَّاسُ يَشُكُّون فيه! لِقُوَّة دعوة أهل الباطل، وتلبيسِهم الحَقَّ بالباطل، وإجلابِهم بخَيْلهم ورَجِلِهم على المؤمنين؛

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٩٣٧) من حديث النَّوَّاس بنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ليُخرجُوهم مِن الحَقِّ المُبِين إلى الإثم الواضح المُبِين.

وقد قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَام بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ**» (٢).

ومِمَّا يُرْزَق العَبْدُ به الثَّباتَ: ثلاثةُ أمورٍ عظيمةٍ:

* **أَوَّلُها:** لزومُ دينِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وامتثالُ أَمْرِه ونَهْيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّساء:٦٦].

وَامْتَثِلُوا هذا في أدائِكم صلاةَ الجُمعةِ؛ فإنَّ أداءَنا صلاةَ الجُمعةِ هو أَخْذٌ بأصلٍ عظيمٍ مِن أسباب التَّثبيت، وهو أَنَّ العَبد يُجيب نداء المُنادي: (حَيَّ على الصَّلاة، حَيَّ على الفلاح)، ويُجِيب قولَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩].

فنحن إذا صَلَّينا الجُمعةَ نرجع على قلوبنا بمَزيدٍ من الإيمان، وتَكثيرٍ لأنواعِ الإيقان؛ فيكون ذلك مِن أسباب ثباتِنا على دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إِنَّنا لا نَنْقَلِب منها بالمَدائح والرِّيَاسات، ولا بالأموال، كَلَّا.

وإِنَّما ينقَلِب أَحَدُنا وقد وَقَف بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُمتَثِلًا أَمْرَه، راغبًا فيما عنده، مُعَظِّمًا لجلالِه؛ فعند ذلك يَكْسُوهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِن نور

---

(٢) أخرجه البخاريُّ (٥٢، ٢٠٥١) ومسلمٌ (١٥٩٩) من حديث النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الإيمان، ويُلْبِسُــه مِن جِلْبَاب الإيقان؛ لأَنَّه امْتَثَل أَمْرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أدائه صلاةَ الجمعة.

وهكـذا في كُـلِّ مـا أُمِرْنـا بـه مِمَّـا وُعِظْنـا بـه في كلام الله، وكلامِ نَبِيِّـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فكُلَّما ازدَدْنا له فِعْلًا، ازدَدْنا على القول الثَّابت ثَبَاتًا.

* **وثانيها:** الإقبالُ على القرآن؛ قراءةً، وتَفَهُّمًا، وتَعَلُّمًا، وإيمانًا، وعَمَلًا؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[النَّحل:١٠٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[الفرقان].

فإقبالُنا على القرآن مَزِيدُ اتِّصــالٍ بكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ يَقْوَى به ثَباتُنا على القَوْل الثَّابت.

* **وثالثها:** دعاءُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالثَّبات؛ فكان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِر أَنْ يقول: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» [٣]، هـذا وهو الطَّاهر المُطَهَّر! الَّذي غَفَر له الله مَا تَقَدَّم وما تَأَخَّر! يســأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كثيرًا أَنْ يُثَبِّت قلبَه!

---

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٢١٤٠) وابن ماجهْ (٣٨٣٤) من حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فعلينا أَنْ نستكثِرَ مِن دعاءِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أَنْ يُثَبِّت قُلوبَنا.

اللَّهمَّ ثَبِّتْ قلوبَنا على دينك، وَاحْفظْنا بطاعتك.

اللَّهمَّ احْفظْنا بالإسلام قائِمين، وَاحْفَظْنا بالإسلامِ قاعِدِين، واحفَظْنا بالإسلام نائِمِين.

الخطبة الثَّانية

الحمد لله رَبِّ العالمين، رَبِّ السَّماوات ورَبِّ الأرض رَبِّ العرش العظيم، وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحدَه لا شريك له، هو الحقُّ المُبين، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

أَمَّا بعد:

أَيُّها المؤمنون!

إِنَّ مِن مِنَن الله العظيمة - كما تَقَدَّم -: أَنْ يُثَبِّتك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقَوْل الثَّابت في الحياة الدُّنيا والآخرة؛ كما قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧].

وقد عَلِمْتُم ما عَلِمْتُم مِن أعظم ما يُثَبِّت به العبدُ نفسَه على دين الله عَزَّوَجَلَّ: عَمَلًا بأَمْرِه، وإقبالًا على كتابِه، ودعاءً له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُثَبِّت قلبَه على دينِه.

وإِنَّ افتقارَ أحدِنا إلى هؤلاءِ الأمورِ عظيمٌ جِدًّا؛ فقد قِيل للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

[الإسراء].

فإذا كان هذا خطابًا للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإِنَّنا أَوْلَى بذلك؛ أَنْ يُظهِر أحَدُنا فَقْرَه إلى ذلك، وأَنْ يعتني بطَلَب أسباب التَّثبيت، حَتَّى لا يُصيبَه ما يُصيبُه من العقوبة العاجلة والآجلة.

فاطلُبُوا - أَيُّها المؤمنون - لأنفُسِكم ما تُثَبِّتون به قُلُوبَكم على القَوْل الثَّابت الَّذي جاء به رسولكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن رَبِّكم.

وتَعاطَوْا مِن أسباب ذلك ما تَسْتَطيعون، حَسب جَهْدكم وطاقتكم.

ومَنْ صَدَق الله صَدَقه، ومَنْ سَأَل الله أعطاه، ومَنْ أَخَذَ بأسباب النَّجاة أنجاه الله.

اللَّهمَّ ثَبِّتْ قلوبَنا على دينِك، اللَّهمَّ ثَبِّت قلوبنا على دينك، اللَّهمَّ ثَبِّت قلوبنا على دينك.

اللَّهمَّ أَحْيِنَا مسلمين، وتَوَفَّنا مسلمين.

اللَّهمَّ أَحْيِنا على (لا إله إِلَّا الله)، وأَمِتْنا على (لا إله إِلَّا الله)، وَاحْشُرْنا جميعًا في حِزْب (لا إله إِلَّا الله).

اللَّهمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وارزقْنا اتِّباعَه، وأَرِنا الباطل باطلًا وارزقْنا اجتنابَه.

اللَّهمَّ فَرِّجْ كُرَب المَكرُوبين، ونَفِّسْ هُموم المَهمومين، وَاقْضِ الدَّينَ عن

المَدينين، وَاشْفِ مَرَضنا ومَرْضانا ومَرضى المسلمين.

اللَّهمَّ وَفِّقْ وليَّ أَمْرِنا لِمَا تُحِبُّ وترضى، وخُذ بناصيتِه للبِرِّ والتَّقوى.

اللَّهمَّ ارزقْه البِطانةَ النَّاصحةَ الصَّالحةَ، وَقِهِ بطانةَ السُّوء يا ربَّ العالمين.